



بات واضحًا الفشل الذريع لسياسة إدارة أوباما تجاه النزاع في سوريا، في ظل غياب الاستراتيجية الواضحة، وعدم احترام "الخطوط الحمراء" التي سبق ووضعتها الإدارة نفسها.

حيث طفت الحلول المؤقتة وقصيرة المدى المستلهمة من تجارب أفغانستان والعراق على الحلول طويلة الأمد والقابلة للتحقيق، بالإضافة إلى الضجة التي أحدثتها وسائل الإعلام المهووسة بتنظيم الدولة الإسلامية. والنتيجة: حصيلة قتلى تراوحت تقديراتها بين (٢٠٠ - ٣٠٠) ألف (والأعداد تفوق ذلك في الواقع)، وأكثر من ١١ مليون مهجر، وعدد كبير من المدن المدمرة. ولعل أبرز نتائج هذا الفشل تتجلى في الطريقة المضللة لتصنيف الثوار بين "معتدلين" و"متطرفين".

في شهر ديسمبر من السنة الماضية، صرخ وزير الخارجية جون كيري أنه "لا يجب أن يختار السوريون بين طاغية وإرهابيين"، وصرح كيري أن هناك خيارا ثالثا: "المعارضة السورية المعتدلة التي تقاتل كلا من المتطرفين الإرهابيين (والرئيس السوري) بشار كل يوم". للأسف، هذه النظرة الجديرة بالثناء تم تحطيمها بسبب تعريف الولايات الأمريكية المتحدة لمفهوم "الاعتدال" بطريقة ضيقة واعتبارية أستثنى جل التيار الرئيس للمعارضة.

الجماعة التي أنتمي لها، أحرار الشام هي مثال جيد على ذلك. فالاسم يعني "رجال سوريا الأحرار". نعتبر أنفسنا جماعة إسلامية سنية ضمن تيار الأغلبية، يقود هذه الجماعة سوريون يقاتلون من أجل السوريين. نحن نقاتل من أجل تحقيق العدالة للشعب السوري، ومع ذلك تم اتهامنا كذباً بوجود علاقات تنظيمية مع "القاعدة" ويتبني فكرها.

هذه الاتهامات أبعد ما يكون عن الحقيقة. نحن نؤمن أن سوريا تحتاج إلى مشروع وطني جامع لا يمكن أن تتحكم به أو تنجزه

جهة أو جماعة واحدة، ولا يجب أن يرتبط الحل بإيديولوجيا واحدة. نحن نؤمن بتحقيق التوازن بين الطموحات المشروعة للأغلبية في سوريا وحماية الأقليات وتمكينهم من المشاركة ولعب دور إيجابي في بناء مستقبل سوريا. نحن نؤمن بمستقبل وسيطي معتدل لسوريا يحافظ على الدولة وإصلاح المؤسسات فيها بما يخدم كل السوريين.

في أواخر السنة الماضية، تم اغتيال عشرات من قادتنا في تفجير. تمكننا من التعافي من هذه الضربة، وظهرت قيادة جديدة بشكل سريع، لتؤكد على المستوى العالي للمؤسساتية والحرفية في صفوفنا، والدعم الشعبي العميق الذي نتمتع به بين صفوف الحاضنة المحلية. يعتبرنا السوريون جزءاً أساسياً وعنصراً ثميناً في المشهد العام للثورة، ومع ذلك تم تشويهنا ظلماً من قبل إدارة أوباما منذ اليوم الأول.

بينما هم عالقون في فقاعتهم الخاصة، قام صناع القرار في البيت الأبيض بتخصيص الملايين من أموال دافعي الضرائب في أمريكا لدعم جهود "السي آي آيه" الفاشلة في مساندة قوات اعتبروها "معتدلة" في سوريا. ولكن هذه الجماعات "المعتدلة" خربت الآمال على كل المستويات، بما في ذلك مواجهة تنظيم الدولة الإسلامية. إن السياسة الأمريكية الفاشلة في اعتبار الحرب ضد تنظيم الدولة الإسلامية هي حرب مختلفة وفي بعض الأحيان متعارضة مع الجهود الرامية لإزاحة الأسد منع من الوصول إلى نهاية في كلا المعركتين.

باعتراف واشنطن نفسها، فإن القتل والدمير الممنهج - في كثير من الأحيان عبر أسلحة كيماوية - الذي حل بالمدن والقرى السنية من قبل جيش الأسد ذي الغالبية العلوية، لا يزال من أهم عناصر التجنيد المستمر لصالح تنظيم الدولة، كما كان الحال مع رئيس الوزراء العراقي السابق نوري المالكي الذي أدت سياساته الطائفية إلى دفع السنة العوام للارتماء في أحضان هؤلاء المتطرفين. ورغم قيام الولايات المتحدة بالضغط لإزاحة المالكي من السلطة، لا يزال البعض في واشنطن (والأمم المتحدة) متمسكين بمفهوم سخيف يجعل من الأسد جزءاً من الحل في سوريا.

في الحقيقة، إن الانتصارات التي حققتها الثوار تؤكد أن النظام السوري ضعيف ويموت. لقد فقد كل قدرته لأي مبادرة استراتيجية على الأرض، ويعاني من نقص بشري يشهده. الأسد يعتمد الآن بشكل متزايد على المتطوعين الشيعة الممولين من قبل إيران، حتى هؤلاء المقاتلين الأجانب الذين تم إحضارهم من مناطق بعيدة كأفغانستان - لم يتمكنوا من عكس سير الأحداث.

إن القضية الأخلاقية ضد الأسد كان يجب أن تكون كافية لاستثنائه ك الخيار، ولكن الحقائق على الأرض الآن هي التي تؤكد أن الأسد قد انتهى. السؤال الوحيد الذي يبقى برسم الإجابة هو؛ من سيطلق عليه رصاصة الرحمة، تنظيم الدولة الإسلامية أم المعارضة السورية؟. هذا السؤال يجب أن يدفع واشنطن للاعتراف بأن الفكر المتطرف لتنظيم الدولة لا يمكن هزيمته إلا عن طريق خيار سني سوري، يقوم فيه السوريون أنفسهم بتعريف "الاعتدال" وليس "السي آي آيه".

وعلى الرغم من انعدام تواصيل حقيقية من طرف المجتمع الدولي، إلا أنها لا نزال ملتزمين بالحوار معه. القضايا التي تحتاج النقاش هي كيفية إنهاء حكم الأسد، وكيف يمكن هزيمة تنظيم الدولة، وكيف يمكن أن نضمن حكومة مستقرة تمثل السوريين في دمشق، من شأنها أن تضع سوريا على طريق السلام والتصالح والتعافي الاقتصادي، بينما نمنع تفكك الدولة. ما زالت الفرصة سانحة للولايات المتحدة الأمريكية لتفجير مسارها، "الخيار الثالث" الذي طرحته جون كيري موجود، ولكن على واشنطن أن تفتح عينها وتبصره.

المصادر: